

الحلقة الثالثة

سلسلة انتشار المسيحية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا قد بدأنا قبل لقاءين بالحديث عن انتشار المسيحية بعد سفر أعمال الرسل، أي خلال العشرين قرنا الماضية.

وتبين لنا أن جميع الرسل الأوائل ساهموا في نشر المسيحية، وقد استشهد معظمهم. وأنهم وصلوا إلى الهند وأرمينيا، ومعظم أنحاء الامبراطورية الرومانية. وتعرض المسيحيون الأوائل إلى أفسى أنواع الاضطهاد. لكن المسيحية في عهد الامبراطور قسطنطين انتصرت، وصارت دين الدولة الرسمي. وهذا ما أدى لنتائج سلبية، إذ حاولت الدولة فرض سيطرتها على الكنيسة المسيحية. فتحدت الكنيسة الدولة مرات عديدة. وعقد مجمع نيقية الذي أقر قانون الإيمان. وآمن أوغسطينوس من شمال افريقيا. وابتداء من القرن الخامس الميلادي أخذت المسيحية تنتشر في إيرلندا وانكلترا وألمانيا وفرنسا ومعظم شعوب شرق أوروبا وشمالها.

لقد تحدثنا في اللقاء الماضي عن انتشار المسيحية في معظم أنحاء القارة الأوروبية. لكن ماذا عن انتشارها في عالمنا العربي وآسيا وافريقيا؟ هذا ما سنحاول دراسته في لقاء اليوم.

كنا قد ذكرنا قبل لقاءين عن كيفية انتشار المسيحية في مصر، بواسطة البشير مرقس، كاتب أحد البشائر الأربع. وهكذا تأسست الكنيسة المصرية القبطية، التي ظهر منها عدد من اللاهوتيين الكبار في التاريخ المسيحي. وعلمنا في اللقاء السابق عن انتشار المسيحية في شمال افريقيا، وخاصة عندما آمن أوغسطينوس، الذي يعتبر من أعظم مفكري المسيحية في التاريخ المسيحي، وتأسست كنائس مسيحية في عدد من المدن هناك. وكانت المسيحية كما علمنا من سفر أعمال الرسل، قد انتشرت في فلسطين وسورية ولبنان وتركيا. لا بل إن المؤمنين بالمسيح دُعوا بالمسيحيين في مدينة أنطاكية أولا. والتي تقع في شمال الساحل السوري. وصارت انطاكية من المراكز الهامة للمسيحية، وظهر منها العديد من رجال الكنيسة الكبار. نذكر منهم الأسقف أغناطيوس في القرن الميلادي الأول، الذي كتب عدة رسائل، ومات شهيدا في زمن الامبراطور الروماني تراجان.

أما في العراق فقد انتشرت المسيحية في القرن الميلادي الأول بين الآشوريين، وهم أحفاد الآشوريين القدماء، وهكذا تشكلت طائفة السريان. والتي نبغ منها عدد كبير من العلماء والكتاب المسيحيين. وقد قام السريان بنشر المسيحية في البلدان المجاورة وخاصة في الهند وفارس أي إيران. ومازالت طائفة السريان موجودة حتى يومنا هذا في العراق وسورية ولبنان ومنهم الموارنة، والهند وإيران. وانتشرت المسيحية أيضا بين الكلدان في العراق. وظهرت منهم فرقة النساطرة، نسبة إلى الأسقف نسطور. وكانت هذه الفرقة من أكثر فروع الكنيسة المسيحية نشاطا وجهادا في فترة القرون الوسطى.

وقد قام النساطرة بنشر المسيحية في الجزيرة العربية وبلاد كردستان وفارس والهند، ووصلوا حتى الصين. وأنشأوا الأديرة والكنائس، وكان لهم أساقفة في كل هذه البلاد. وظهر بينهم وكتاب وعلماء كثيرون. ويذكر التاريخ أنه عندما سقطت المدائن بيد العرب سنة ستمئة وسبعة وثلاثين، فرّ الكثيرون من النساطرة إلى الصين. فاستقبلهم ملك البلاد وأباح الحرية للمسيحيين، وانتشرت المسيحية في كل أنحاء الصين. وكان في ولاية المغول بالصين، بالقرن الثالث عشر، كنيسة مسيحية ناشطة. وكان لهم وجود في مدينة بكين. ولكن الطاغية المغولي تيمورلنك اضطهدهم اضطهادا شديدا في أواخر القرن الرابع عشر. وعلى أثرها تشتتت النساطرة في كل مكان. وفي جنوب الهند ما تزال حتى اليوم كنيسة نسطورية يرجع تاريخها إلى القرن السادس الميلادي. وكذلك مازالت طائفة الكلدان موجودة حتى يومنا هذا في العراق.

كنا قد علمنا من سفر أعمال الرسل عن إيمان خصي الحبشة بالمخلص المسيح، وهو الذي كان وزيرا لملكة كنداكة ملكة الحبشة، على يد المبشر فيلبس. وذلك أثناء عودته إلى بلاده من أورشليم على طريق غزة. وعن طريق هذا الوزير أخذت المسيحية تنتشر في بلاد الحبشة أو أثيوبيا. لكن انتشار المسيحية بشكل واسع في هذه البلاد، تمّ عن طريق فرومنتوس أول أسقف عيّن على الحبشة في القرن الرابع الميلادي. ولقد نشر الأثيوبيون المسيحية في اليمن، واستشهد منهم عدد كبير. وكذلك هم الذين نشروا المسيحية في بلاد السودان في القرن السادس الميلادي، وفي أرتيريا. ودافعوا عن المسيحيين الأقباط في مصر أكثر من مرة. وعندما ثارت قبائل حمير على نصارى العرب في القرن السادس، تدخل الأحباش وعزلوا الملك الذي أساء معاملته نصارى نجران في شمال الجزيرة العربية. وعيّنوا أسقفا على نجران اشتهر بالخطابة والعلم.

ولقد وصلت المسيحية إلى نجران عن طريق مبشر جاء من سورية، اسمه فيميون، فاعتنقت قبائل نجران العربية، المسيحية حوالي عام خمسمئة ميلادية. وكان للمسيحيين أيضا أسقف لصنعاء واليمن. وتقول المصادر التاريخية إن أول مبشر بالمسيحية

جاء إلى جنوب الجزيرة العربية هو ثيوفيلس اندس. ولقد نجح في نشر المسيحية بعدن وبعض أجزاء اليمن، وذلك عام ثلاثمئة وخمسة وستون ميلادي. وعندما انفجر سد مأرب في اليمن حوالي عام خمسمئة واثان وأربعون، نزح بنو غسان أي الغساسنة، من اليمن إلى منطقة حوران في جنوب سورية، حيث اعتنقوا المسيحية، وأنشأوا دولة امتدت إلى تدمر في الصحراء. وكذلك نزح بنو لخم المعروفين بالمانذرة من اليمن إلى أرض الحيرة في العراق، والتي كان سكانها من المسيحيين. وجرت بين الغساسنة والمانذرة حروب كثيرة، كان يحركها الرومان والفرس من وراء الستار. وقام المسيحيون من سكان جنوبي الفرات بدور المعلمين للعرب الوثنيين. يعلمونهم القراءة والكتابة والدين. فاعتنق بعض المانذرة المسيحية، وآمن ملك المانذرة النعمان الثالث بالمسيحية، في نهاية القرن السادس.

وهكذا نجد أنه عندما بدأ الفتح العربي في القرن السابع الميلادي، كانت المسيحية منتشرة في معظم أنحاء فلسطين وسورية ولبنان والعراق ومصر وتركيا والحبشة، وبعض أنحاء اليمن والسودان وشمال إفريقيا. ولقد ساهم المسيحيون العرب في بناء الدولة الأموية، فكان طبيب معاوية مسيحياً، وكذلك وزير المال في دولته. وما المسيحيون العرب اليوم إلا من أحفاد هؤلاء المسيحيين. ومن المؤسف أن الكثيرين لا يعرفون هذه الحقيقة، أنه يوجد عرب مسيحيون. إذ يظنون أن العرب كلهم مسلمون. ونحن هنا في خدمة الإذاعة العربية من العرب المسيحيين.

ومن بين الذين اشتهروا في أواخر القرن السابع هو يوحنا الدمشقي، هذا المفكر واللاهوتي البارع. وكان والده مسيحياً، وقد ولى وظيفة من وظائف الدولة في حكم خلفاء بني أمية في دمشق، وخلفه ابنه في هذه الوظيفة. لكن يوحنا الدمشقي طلق وظيفته الحكومية، وتنازل عن كل مقتنياته العالمية، ورُسم كاهناً، وقضى بقية حياته في الدير. وقد جمع عقائد الكنيسة في سفر لاهوتي فلسفي، وعالج نظريات الهرطقة والملحدين. وأفرد يوحنا الدمشقي قسماً في أحد مؤلفاته لعقائد الإسلام. وكتب حديثاً ثنائياً على لسان مسيحي ومسلم، وضع على لسان كل منهما أدلته المنطقية لإثبات دينه. وقد دل هذا الحديث على عمقه، وبراعته في الإقناع.

سنتابع أعضائي المستمعين في اللقاء القادم إن شاء الله الحديث عن انتشار المسيحية في بقاع العالم المختلفة.